﴿ هيجو الشرق ﴾

ونعني به حضرة الكاتب الاجتماعي والمصور الماهر السيد مصطفى لطفي المنفلوطي الذي عرفَ نظراته قراء العربية وادرك قيمته خدام الهيئة الاجتماعية . ولطالما كنا نرى تهافت عشاق الآداب على نظراته القاصية ، وموامي عبره الفسيحة ، حتى كان الكل يطلبون جمع ما سطره قلمه الذي عرف دون سواه كيف يصل الى ارق مواضع النفس فيحركها نحو الفضيلة ، وما رسمه عقله الكبير الذي ادرك تتوقنا الى الآداب فصورها امامنا محسوسة ملموسة

وها نحن امام كتابه العظيم ونظراته الغالية نحييه بما يليق به من اكرام ، ونحيي بني القطر بقيام هيجو الشرق بين ربوعه . فلا بدع اذا كبرنا وهللنا به كما كبر قوم الفرنسيس « فيكتور هيجو » مشيّد اركان الآداب ، وها نحن نعكس الى قارئات الجنس اللطيف نظرة من نظراته عساها تقوم عن قصري باظهار عظمة هذا الكاتب المجيد

﴿ الوفاء ﴾

يا صاحب النظرات

تزوجتُ منذ سنة بزوجة صالحة طيبة القلب والسريرة فاغتبطتُ بعشرتها برهة من الزمان ، وفي هذه الايام عرضَ لها رمدٌ في عينيها فذهب ببصرها فأصبحت عمياء واصبحت اعمى بجانبها ، وقد بدا لي ان اطلقها واتزوجَ بامرأة غيرها فماذا ترى؟

انسان

ايها الانسان لا تفعل : فأنك ان فعلت كان عليك اثم الخائنين ، وجرم الغادرين ، كن اليوم احرص على بقائها بجانبك منك قبل اليوم ، حتى تستطيع ان تدخر لنفسك عند الله من المثوبة والاجر ما يدخره لامثالك من الصابرين المحسنين ، لا تقل انها عمياء فلا خير لي فيها ولا غبطةَ لي بها ، فأنك ستجد في نفسك من لذة المروءة والإحسان ، والعطف والحنان ، ما يحسدك عليه الناعمون بالحور

الحسان ، في مقاصير الجنان ،

اجلس اليها صباحك ومساءك وحادثها محادثة الصديق لصديقه بل الزوج لزوجه ، وتلطف بها جهدك ؛ وروّح عن نفسها ما يساورها من الكروب والاحزان ، وقل لها لاتجزعي ولا تحزني فانا انا بصرك الذي به تبصرين ، وبذك التي بها تبطشين ،

أعيذك أيها الانسان بالله ورحمته ، والعهد وذمامه ، أن تجعل لهذا الخاطر السيئ خاطر الطلاق أو الفراق سبيلاً الى نفسك ، فأنها لم تسيئ اليك فتسيئ اليها ، ولم تنقض عهدك فتنقضَ عهدها ، فان كنت لابد ثائراً لنفسك فاثأر لها من القدَر أن استطعت الى ذلك سبيلا

ان عجزاً من الرجل وضعفاً ان يغضب فيمدَّ يده بالعقوبة الى غير من أذنب اليه ، ويعتدي على من لم يعتد عليه ،

ان لم يكن احتفاظك بزوجتك وابقاؤك عليها عدلاً يسألك الله عنه ، فليكن احساناً تحاسبك الانسانية عليه ،

انك خسرت بصرها ولكنك ستربح قلبها ، وحسب الانسان من لذة العيش وهنائه في هذه الحياة قلبٌ يخفق بحبه ، ولسان يهتف بذكره ،

انها اسعدتك برهةً من الزمان فليخفق قلبك حناناً عليها بقدر ما خفق سروراً بها

لا احسب انها كانت تاركتك او مغفلةً امرك لو ان هذا السهم الذي اصابها اصابك من دونها ، فاحرصْ الحرصَ كله على ان لا تكونَ امرأةٌ ضعيفة اسبق منك الى فضيلة الصدق والوفاء

الى من تعهد بها بعد فراقك اياها ، وأي موطن من المواطن هيأته لمقامها ، وماذا اعددتَ لها من الوسائل التي تستعين بها على شؤون عيشها ، وتأنسُ بها في وحشتها ووحدتها ،

كيف بهنأ لك عيشٌ أو يغمض لك جفن اذا اظلك الليل فذكرتها وذكرت انها تقاسي في وحدتها من الوحشة ما لا قبل لها باحتماله وأنها ربما كانت تطلب جرعة

ماء فلا تجد من يقدمها اليها ، او كسرة خبز فلا تجد من يدلها عليها ، او ربما قامت من مضجعها في سكون الليل وهدوئه تتلمسُ الطريق الى حاجة من حاجها فاخطأ تقديرها فصدمها الجدار في جبينها صدمةً سال لها دمها حتى امتزج بدمعها

أيها الانسان : ان لم تكن عادلاً ولا وفياً ولا محسناً فارحم نفسك من هذا الخيال الذي لا بد ان سيساورك ويفتّ في عضدك ويزعجك من مرقدك ، فان لم تكن هذا ولا ذاك ففيرك أخاطب لاني لا احسن الا مخاطبة الانسان

أتى محدثك عن صديق لي من كرام الناس وأوفيائهم تزوج بزوجة جسناء فاغتبط بها برهة من الزمان ثم اصابها الدهر بمثل ما أصاب به زوجتك ولم يترك لها من ذلك النور الذاهب الا مثل ما تترك الشمس من الشفق الاحمر في صفحة الافق بعد غروبها ، فلم يقنعه من الوفاء لها أن استبقاها واستمسك بها بل كان يحرص الحرص كله على ان لا تعلم انه ينكر من أمرها شيئاً ، حتى انه كثيراً ما كان يعتب عليها العتب الكثير في ذنوبٍ ما كان له ان يؤاخذها بها الا من حيث كونها ناظرةً مبصرة ، يريدُ بذلك ان يلقي في نفسها انه لا يعرف من قصة نظرها شيئاً وانه لا يرى فيها غيرَ ما يراه الرجال من نسائهم المبصرات رفقاً بها وابقاء على ما ربما تحب ان تحاوله من الاعتداد بنفسها والادلال بمزاياها ،

ولقد قرأت جملة صالحة من نوادر العرب في آدابهم ومكارم اخلاقهم ولطف وجداناتهم فلم أرَ بينها نادرة اعلق بالقلوب ولا اجمل أثراً في النفوس من قول أبي عيينة الكاتب المعروف في عهد الدولة العباسية وكان كفيف البصر (اختلفتُ الى القاضي احمد ابن أبي دؤاد أربعين سنة فما سمعته مرة يقول لغلامه عند تشييعي خذ بيده يا غلام بل يقول اخرج معه يا غلام)

فأن كنت تريد أن يسجل لك من الوفاء في صفحات القلوب ما سجل لاحمد ابن أبي دؤاد في صفحات التاريخ فلا تطلّق زوجتك ولا تنقم عليها أمراً خرج من يدها ، وان أبيت الا ان تأخذ لنفسك حظها من لذة العيش وهنائه فاعلم انه ما من لذة يلذ بها الانسان في حياته الا ويشوبها الكدر ، أو يعقبها الألم ، الا لذة الاحسان ،